# زهديات أبي العتاهية وشرف الدين الأنصاري دراسة مقارنة

أستاذ مشارك دكتور أبو الحسن أمين مقدسي
الباحث. محمد رضا غفاري (الكاتب المسؤول)
قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة طهران/ ايران

# Ascetic Poems of Abū al-ʿAtāhiyyah and sharaf aldin, Comparative Analysis

**Ass.Prof.Dr. Abolhasan Amin Moqdasi**
**Researcher. Mohammad Reza Ghaffari (Author responsible)**
**Department of Arabic Language and Literature\ University of Tehran\ Iran**
abamin@ut.ac.ir m.reza.ghaffari65@gmail.com

**Abstract**

The poetry of asceticism, including religious preaching and moral judgment, has a significant influence in guiding Islamic and Qur'anic values, especially since this type of poetry is derived from the Holy Quran and Islamic sources. Psychological and social factors have a prominent influence in the singing of the Zahadiyat, where the poet Abu Altaahah because of his psychological situation and social conditions in the Abbasid era, his shrines and opening a special door in the Arabic literature and make it an independent art exists. In the Ottoman era, a poet appeared as an Assyrian monotheist, and as a result of the prevalence of moral decay and the great sedition, he made some of his poems in the flowers. This study has taken a comparative analytical approach and touched on the most important topics and characteristics in the fatwas of Abu al-Ataheya and Sharaf al-Din al-Ansari. The result is that many of the ascetic contents were common among the poets and that both of them enjoy a decent degree of artistic characteristics. He is hesitant between true asceticism and attachment to the ruins of the world, but the mysteries of the religion of the religion are flawless, and he appeals to them from the very core of his heart, and at first he walked on the path of asceticism and was not one of repentance. The literary literature in the mysteries of the religion of religion is more glamorous, glamorous, beautiful and beautiful than that of Abu al-Ataheya, and the environment and the surrounding circumstances have a prominent influence in the singing of the echoes of the two poets. And the experience of asceticism shared by poets and similarities in the motives leading to the formation of syphilis led us to conduct this comparative study between them.

**Keywords:** Abu al-Ataheya, Sharaf al-Din al-Ansari, al-Zahd, Zahdiyat.

**الملخص**

إن شعر الزهد بما فيه من المواعظ الدينية والحكم الأخلاقية له أثر بارز في توجيه القيم الإسلامية والقرآنية، وخاصة أن هذا النوع من الشعر مستقاة من القرآن الكريم والمصادر الإسلامية. وللعوامل النفسية والاجتماعية أثر بارز في انشاد الزهديات حيث إن الشاعر أبوالعتاهية نظرا لحالته النفسية والأوضاع الاجتماعية في العصر العباسي أنشد زهدياته وفتح لها بابا خاصا في الأدب العربي وجعله فنا مستقلا قائما. هذا وفي العصر العثماني ظهر شاعر كشرف الدين الأنصاري ونتيجة لشيوع الانحلال الخلقي وكثرة الفتن جعل قسما من أشعاره في الزهديات. إن هذه الدراسة اتخذت أسلوبا تحليليا مقارنا وتطرقت إلى أهم الموضوعات والخصائص في زهديات أبي العتاهية وشرف الدين الأنصاري والنتيجة المستقاة هي أن الكثير من المضامين الزهدية كانت مشتركة بين الشاعرين وإن كليهما تتمتعان بدرجة لائقة من الخصائص الفنية إلا أن زهديات أبي العتاهية يشوبه شيء مما يقابل الزهد الحقيقي وهو متردد بين الزهد الحقيقي والتعلق الى حطام الدنيا ولكن زهديات شرف الدين أقل شائبة وهوأنشدها من صميم قلبه وأنه في البداية كان يسير على سلك الزهاد ولم يكن من الزهاد التائبين. هذا وأن أدبية الأدب في زهديات شرف الدين أكثر لمعانا ورونقا وبهاء وجمالا مما هو الحال عند أبي العتاهية، وأن للبيئة والظروف المحيطة أثر بارز في انشاد الزهديات عند الشاعرين المذكورين. والتجربة الزهدية المشتركة بين الشاعرين وأوجه التشابه في الدوافع المؤدية الى إنشاد الزهديات دفعتنا الى إجراء هذه الدراسة المقارنة بينهما.

**الكلمات المفتاحية:** أبو العتاهية، شرف الدين الأنصاري، الزهد، زهديات.

**المقدمة:**

إن للأدب وظيفته الاجتماعية التي يتحسس بها مشكلات الحياة وقضايا الإنسان من حوله ويتأثر بها تأثرا وجدانيا واعيا يحدوه الى الثورة على كل المفاسد والموبقات والعوائق التي تقف في طريق سعادة الإنسان وحريته وحقوقه المشروعة، فإن له كذلك وظيفة إنسانية عامة تتخطى حدود المكان والزمان وتتخطى أيضا حدود الانفعالات الذاتية المتجردة عن الرغبات الخاصة والتطلعات المنكمشة التي لا ينفلت من إسار الهموم المعيشة اليومية ومن هموم الواقع الذي يفرض عليه الالتحام والمعايشة الواعية لأكثر آمال القوى الاجتماعية العريضة ولايستطيع بأي حال أن يتخلى عنها لأن في ذلك التخلى ابتعادا وهروبا عن رسالة الأدب الانسانية وتقوقوعا داخل الذات والفراغ المبهم وهذا لايمكن أن يحدث إلا إذا كان صاحب الرسالة نرجسي النزعة بليد العقل ميت الشاعر والضمير لايرى في الوجود إلا ذاته المضعضة وكيانه المهزوز اللالامستقر، فالأدب يتكون دون شك عن طريق التفاعل مع حياة المجتمع وقيم وآماله ولكنه لايكون أدبا حقا إلا اذا امتلك القدرة على تجاوز ذلك المجتمع الى ما وراءها الى القيم الانسانية المتجددة أبدا المحددة للانسان وحضارته أبدا الصانعة للمصائر التي تعلو على واقع أي مجتمع مهما يكون شأوه من الانسانية.

والزهد من الموضوعات الشعرية القديمة التي نراه بين طيات القصائد والأبيات الجاهلية الى أن وصل الأمر الى العهد العباسي وشاعر كأبي العتاهية جعله فنا مستقلا. وفي عصر الضعف والانحطاط شاع هذا النوع من الشعرليكون ردا على كثر الشرور والفتن والانحلال الخلقي. إن شعر الزهد من أبواب الشعر الملتزم متحليا بالكثير من المواعظ الدينية والأخلاقية حيث يحث المجتمع على الخير ويحذرهم من الاغترار بالدنيا والانجرار وراءها وما يبعد الانسان عن كل ما يقربه الى الله تعالى.

في دراستنا هذه قمنا بتحليل زهديات أبي العتاهية كشاعر له مكانة خاصة في الزهديات وجعلها فنا مستقلا وزهديات شرف الدين الأنصاري وهو من الشعراء الزهاد في العصر العثماني، في إشارة الى أهم الموضوعات في أشعارهما الزهدية مبينا بعض الخصائص الفنية والمضامين الرئيسية. ولا مشاحة أن تبيين المواضع الحكمية والأخلاقية في الشعر عاما وفي الزهديات خاصا مما ينفع المجتمع ولاسيما أن قسما عظيما من ديوان أبي العتاهية يحتوي على الزهديات وهو يتطلب البحث للكشف عن قيمها الشعرية والحكمية. كما يصدق هذا على ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري ولم يكن لهذا الموضوع بحث يسبق عليه إلا أن هناك دراسات في زهديات أبي العتاهية ونحن استفدنا منها خلال البحث.

**الزهد لغة واصطلاحا:**

جاء في مختار الصحاح: الزهد ضد الرغبة. (مختار الصحاح/مادة زهد). قال في لسان العرب: الزهد: القلة وهو ضد الرغبة والحرص على الدنيا والزهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة. والتزهيد في الشيء وعن الشيء خلاف الترغيب فيه. (لسان العرب،1986/3).

واصطلاحا هو "الابتعاد عن الخطيئة والاستغنا عن الكماليات وتجنب كل ما هو من شانه أن يبعد عن الخالق (الأفندي،451/1987). قد عرفه البعض بأن الزهد هو "استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب"، (البيهقي، 1987/ 66) الزهد هو بغض الدنيا والإعراض عنها وقيل هو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة وقيل هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك. (الجرجاني، بدون التاريخ/99)

فالوجه المشترك في كل هذه التعاريف للزهد – رغم تعددها – هو الرغبة عن الدنيا والأعراض عنها.

اما من حيث المصطلح الشعري فهو يعتبر بابا من أبواب الشعر الملتزم الذي يحدثنا فيه الشاعر عن زهده وتنسكه وتعبده في الحياة متصفا فيه نفسه بعيدة عن ملذات العيش مشيرا فيه الى تقشفه في الطعام والشراب واللباس والمسكن أو مذكرا احتقاره لكل ما يهتم الانسان من مال وجاه وعمران وتثمير وتنعم بطيبات الدنيا.(أبو حاقة، 1979/ 92–93 نقلا عن: زيني وند واشكوري، 2/1389)

**الزهد في القرآن الكريم:**

لقد وردت كلمة الزهد في القرآن الكريم في موضع واحد للتعبير عن عدم الميل والرغبة الى الشيء، حيث يقول جل ذكره: "وكانوا فيه من الزاهدين". (يوسف/20) لأن إخوة يوسف لم يرغبوا فيه[1]. وقد وردت آيات كريمة تحث على الابتعاد عن الدنيا لأنها دار فناء وليست بدار بقاء: اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيث أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ"، (الحديد/20). كما حثنا الرسول الأكرم (ص) على الرغة في الزهد والنظر الى الدنيا نظرة زائر فيها: "ما أنا والدنيا إنما أنا والدنيا كرَاكِبٍ استظل تحت شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا" (سن ابن ماجه، بدون تاريخ/1376، رقم الحديث: 4109)

فالقرآن الكريم والسنة أشار الى حب الدنيا دون التعلق والتثبت بهما ودون الشعور بالكراهية والنفور والابتعاد عنها. فهذا علي بن أبي طالب (ع) يقول: "طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، وَالرَّاغِبِينَ فِي الآخِرَةِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا أَرْضَ اللَّهِ بِسَاطًا، وَتُرَابَهَا فِرَاشًا، وَمَاءَهَا طِيبًا، وَالْكَفَافَ شِعَارًا، وَالدُّعَاءَ دِثَارًا ، وَقَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَنْ مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلامُ". (زركوك سميرة،6/2015) و"الزهد في الدنيا يبصرك الله عوراتها ولا تغفل فلست بمغفول عنك"، (نهج البلاغة،1383، خطبه 39) فالزهد في نظرة الامام يعني الإعراض عن الشيء وتركه. إن الدين الاسلامي من كتابه وسنته يؤكدان على الابتعاد عن حب الدنيا وانما التزهد فيها لكن دون أن نهجر الحياة الاجتماعية والتمتع بها وبنعم الله وإنما حث الاسلام على تحكم الانسان في دنياه دون أن يكون مملوكا لها، كما جاء في قوله تعالى: "الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا"، (الكهف/46) وقال الرسول الاكرم (ص): "لَيْسَ الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ، وَلَا فِي إِضَاعَةِ الْمَالِ، وَلَكِنْ الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَكُونَ بِمَا فِي يَدَيْكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ ، وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ إِذَا أُصِبْتَ بِهَا، أَرْغَبَ مِنْكَ فِيهَا لَوْ أَنَّهَا أُبْقِيَتْ لَكَ". (ابن ماجه، بدون تاريخ/ 1373، رقم الحديث: 4100)

**نبذة عن شعر الزهد وخصائصه:**

إن الزهد من الموضوعات الشعرية العريقة في الأدب العربي وله خلفية قديمة قدم العهد الجاهلي. فإذا أمعنا النظر في الشعر الجاهلي نري أن هذا الموضوع قد ظهر لدى شعراء والخطباء القدامى كزهير بن أبي سلمى وقس بن سعدة الأيادى وأمية بن أبي اصلت. لكن الزهديات لم تتكون مفهوما مستقلا قائما بذاته ولا نستطيع أن نجد قصيدة تحتوى على الزهد في تلك العصور. بعبارة أخرى ان الذي لاشك فيه أن هذه الظاهرة موجودة منذ الجاهلية أي قبل الإسلام. فرغم أن حياة العرب في جاهليتهم حياة وثنية مادية كانوا يطلقون فيها العنان لشهواتهم وغرائزهم ومتعهم الحسية إلا أن هناك زهد أو نوع من التنسك.(العتيق، 216/1976)

لا مشاحة أن هذا الزهد وما يتصل به من الموضوعات والأغراض يحتوي على الإعراض عن الدنيا ومتاعها الذائل والانقطاع الى الله والانفراد عن الورى والعكوف على العبادة. وهذا لا يعني اعتزال الزاهد عن الناس انفرادا تاما ويخص حياته للنسك والعبادة كالرهبانيين بل إن الزهد [الحقيقي] يؤدي الى التعادل والتوازن بين الحياة الدنيا والآخرة والاكتفاء بالنزر اليسير من العيش والابتعاد عن الحرص والشر وهذا ما يدعو اليه دين الاسلام الحنيف. يقول الجنيد[2] رحمه الله: التصوف نعت أقيم العبدُ فيه. قيل نعت للعبد أم للحق؟ فقال نعت الحق حقيقة ونعت للعبد رسما.(المسلمي أبو عبد الرحمن، طبقات الصوفية، بدون تاريخ/96) أي أن حقيقة التصوف تقتضي فناء صفة العبد وفناء صفة العبد يكون ببقاء صفة الحق وهذا نعت الحق ورسمه يقتضيان استمرار مجاهدة العبد والمجاهدة صفة العبد وإذا أجريته على معنى آخر، فهو: أنه لايصح للعبد أي نعت في حقيقة التوحيد، لأن نعوت الخلق غير دائمة له وليس نعت العبد سوى الرسم لأن النعت غير باق وهو ملك وفعل الحق، فهو في الحقيقة الحق.

1. ولهذه الآية تفاسير أخرى في كتب التفسير.
2. الجنيد بن محمد أبوالقاسم الخزار. وكان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك كان يقال له : القواريري. أصله من " نهاوند" ومولده ومنشؤه بالعراق. وكان فقيها تفقه على أبي ثور وكان يفتي في حلقته. وصحب السَرىّ السقطي والحارث المحاسبي ومحمد بن القصاب البغدادي وغيرهم. وهو من أئمة القوم وسادتهم، مقبول على جميع الألسنة. توفي سنة سبع وتسعين ومائتين.(السلمي أبوعبدالرحمن، طبقات الصوفية،بدون تاريخ/98)

ومعنى هذا أن الله عز وجل أمر العبد بالصيام وسمى العبد صائحا بصيامه وهذا الصوم يكون للعبد من وجه الرسم ولله من وجه الحقيقة. وبهذا القول اتضح قول الجنيد السابق لهذا القول. ويقول أبوالحسن النوري[1]: "الصوفية هم الذين صفت أرواحهم فصاروا في الصف الأول بين يدي الحق". (الهجويري، 232/1974)

**الزهاد، لغتهم وأدبهم (اللغة في استعمال العرفاء والزهاد)**

"إن علاقة الانسان بعالم الغيب يشبه علاقة أجزاء وقِطَع الأرض المختلفة بالشمس. فبعض هذه الأجزاء مشمسة عادة وبعضها غائم وبعضها "في حالة بين بين والأجزاء التي لا تتمع بنور الشمس قليلة ومن جهة آخرى لايوجد جزء يتمتع بنور الشمش دائما وإن وُجد فقليل جدا.

ما يهم في هذه الأثناء ويستحق الدراسة من حيث التجربة العرفانية هو الحفاظ على هذه العلاقة وبسط تلك اللحظات يحتاج الى جهد ومثابرة يبذلها الانسان. وعدم الاهتمام بتلك اللحظات يقلل من شأنها والاهتمام بها وتقديرها يؤثر على تعزيزها ونموها.

یک لحظه‌ات پر می‌دهد یک لحظه لنگر می دهد یک لحظه صحبت می‌کند یک لحظه شامت می‌کند

یک لحظه می‌لرزاندت یک لحظه میخنداندت یک لحظه مستت می‌کند یک لحظه جامت می‌کند

(شمس. ديوان، 186، رقم الغزل: 539)

إن التغير في هذه اللحظات صعودا وهبوطا ولو أنها أمر الهي إلا أن للإرادة والجهد فيها أثر بارز وهذه الإرادة والجهد يظهر في التجارب اللغوية.

وهناك فئتان من الكتاب المتصوفين في العربية والفارسية ورغم أنهما قد تتشابهان بعضهما بعضا إلا أن هناك فرق يسير بينهما: فئة تتكلم بلغة المتكلمين وتطرح المباحث بتصنيف دقيق وأن اللغة في هذا الشكل لا تتجاوز قالبها النمطي والإخباري تجاوزا يذكر – إلا عند المصطلحات– والفئة الثانية ورغم أنهم يهدفون من ممارستهم الزهدية الى التعليم إلا أن اللغة في كتاباتهم تتجاوز شكلها الإخباري والوصفي ويجاهدون في المتسويات المختلفة أن يخلقوا عوالم جديدة بالكلمة وينتقلون تجربتهم الروحية والنفسية الى القراء بلغة عاطفية.(شفيعي كدكني،242/1392)

**درجات الزهد:**

الدرجة الأولى: من الناس من يزهد في الدنيا وهو لها مشته لكنه يجاهد نفسه وهذا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد.

الدرجة الثانية: أن يزهد في الدنيا طوعا. لا يكلف نفسه ذلك ويلتفت اليه فيكاد يعجب بنفسه ويرى أنه قد ترك شيئا له قدر لما هو أعظم منه، كما يترك درهما لأخذ درهمين وهذا ايضا نقص.

الدرجة الثالثة: وهي العلياء أن يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى أنه ترك شيئا لأنه عرف أن الدنيا ليست بشيء فيكون كما ترك خزفة وأخذ جوهرة فلايرى ذلك معاوضة فإن الدنيا بالإضافة الى نعيم الآخرة أخس من خزفة بالإضافة الى جوهرة. فهذا هو الكمال في الزهد. (المبارك المروزي، 38/1415)

**الأسس النظرية للزهد عند الاسلام (التصوف، الرهابنية والزهد):**

إن تعاليم جميع القادة الدينية والاجتماعية مزيج من الاستحقاقات الأخلاقية والتعاليم الزهدية والمناهج الفلسفية. هذه المحاولات بذلت قصارى جهدها في القاء اللوم على المتطرفين في حب الدنيا وماها وزخارفها وحذرت الانسان من ورطة الوقوع في فخ الماديات. (حكمت،339/1371)

إن الرهابية والزهد يهتمان بترك مشاغل الدنيا والمظالم المادية لأجل تحقيق صفاء النفس والإدراك وفهم حقيقة الحياة إلا أن هذه المسيرة ليست بطريقة واحدة في جميع الأديان بل يختلف بعضها بعضا في الوصول الى المراد. والرهبانية لا وجود لها في الاسلام بل مرفوض عنده حيث قال الله تعالى في محكمه: ".. ورهانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم..."، (الحديد/27) وفي المقابل

1. اسمه أحمد بن محمد وقيل محمد بن محمى وأحمد أصح. بغدادي المنشأة والمولد، خراساني الأصل ويعرف بابن البَغَوي. كان من اجل مشايخ القوم وعلمائهم،لم يكن - في وقته – أحسن طريقى منه ولاألطف كلاما.توفي سنة خمس وتسعين ومائتين.(المصدر نفسه/98)

حذر الإسلام من الجشع في المال وجمعه وبشرهم بعذاب أليم: "والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم" (التوبة/34).

ونرى في السيرة النبوية والتعاليم القرآنية أبعادا متعددة من السلوك العرفاني كانت بمثابة الأرضية المناسبة لظهور الأفكار المعرفية في الاسلام. لا شك أن التصوف الاسلامي أخذ قسما وافرا من تعاليمه عن الأصول والمبادي الاسلامية ولكن هذا لا يعني أنه كان بمعزل عن سائر النحل والملل بل كان في ارتباط واتصال بالنظريات غير إسلامية(باطني،88/1388). إن الصوفية توكد على ترك المال وأي ميل في تصرفه تعده مخالفا للزهد إلا أنهم يفرقون بين الزهد والفقر فرقا جوهريا وهو أن الفقر يمكن أن يكون موجودا بينما الزهد غير موجود، على سبيل المثال هناك من يترك الدنيا بعزم ثابت وهو متيقن من عمله هذا إلا أن الرغبة لاتزال موجودة فيه وكذلك الزهد ممكن حضوره دون أن يكون للفقر وجود مثلا هناك من يرغب عن الفقر ولكن هو الزاهد ورغم حضور الأسباب المادية إلا أنه يزهد فيها(جامي، بدون تاريخ/25).

**التياران الرئيسان في الزهد الاسلامي:**

لو نريد أن نبحث عن الأفكار الزهدية في الاسلام على أساس وجود ألفاظ كـ "الزهد" و"الزاهد" أو "التقشف"، لا نصل الى نتائج مرضية. إن من الباحثين نفوا كل الأفكار الزهدية من عصر صدر الاسلام جملة وتفصيلا بذريعة أنهم لم يجدوا كلمة الزهد في القرآن الكريم وعزوه الى نفوذ النساك المسيح والفرق اليهودية كالأسينية[1] أو ربطوها بتمازج وارتباط المسلمين مع البوذيين القاطنين شرق خراسان. ولكن نحن لا نسلم هذا الراي لأن هناك الكثير من المضامين الزهدية في القرآن الكريم تدل على ترك مشاغل الدنيا والابتعاد عن حبها(جولدزيهر،293/1357) .

فمن هنا ظهر التياران الرئيسيان في الزهد الاسلامي:

1- الزهد الإيجابي المبني على التقوى وترك التعلقات الدنيوية والمادية ولكن لا يرفضه بل يدعو الانسان أن يكون مالكا للدنيا ولا مملوكا لها.

2- الزهد السلبي المبني على الرهبانية وهذه الفكرة لا تمت للإسلام بصلة أصلا بل من البدع التي دخلت فى الزهد الاسلامي.

**أبو العتاهية، حياته وظروفه الاجتماعية والسياسية:**

ولد أبو الاسحاق بن القاسم بن سويد بن كيسان المعروف بأبي العتاهية في قرية بالقرب من الأنبار تدعى (عين التمر) سنة 130هـ/747م وكان مغمور النسب يزاول أبو الحجامة وأخوه يبيع الفخار في دكان صغير بالكوفة. ثم قصد بغداد وتقرب الى الخليفة المهدي وحظي لديه ثم مال الى دراسة مذاهب المتكلمين والزهاد. ولكن ولعه بالمال لم يبارحه فظل ينتقل من قصر الى قصر فقربه الرشيد وقربه المامون من بعده وقد توفي في بغداد ودفن فيها.

لأبي العتاهية ديوان طبع سنة 1886 وفيه قسمان كبيران: قسم للزهديات وقسم لسائر فنون الشعر. كنّى بابي العتاهية لانه كان يحب المجون والتعته والشهرة، عاش في عصر امتاز بكثرة الأزمات الروحية والفكرية وتكون موجات الشك والحيرة في تعاليم الدين الحنيف وهذا ناتج عن كثرة الفرق والنحل والأقوام. شاهد طوال حياته تعسف العباسيين وتقلباتهم السياسية وما يلحق العلويين من أذى وتقتيل وتشريد ومما لاريب فيه أن العصر العباسي من العصور التي تجلت فيه المتناقضات الفكرية والعقيدية. والشاعر بعد فترة وخاصة بعد انقطاعه عن الجهاز الحكومي تنسك وانصرف عن التشبيب والتغزل وانشد في الزهد.

(ضيف،1427،ج83/3 والفاخوري/416/1390 والاصفهاني،الجزء الرابع، بدون تاريخ/2 والبستاني، ج3، 1425/ 25 والزيات،195/1383).

1. الأسينيون هي طائفة يهودية ظهرت أثناء فترة الهيكل اليهودي الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي، ويزعم بعض الباحثين أن بعض الكهنة انفصلوا بها عن طائفة اليهود الصدوقيين. ونظرًا لقلة عددهم مقارنة بالفريسيين والصدوقيين، فقد عاش الأسينيون في عدة مدن في تجمعات تميل إلى الزهد (بعضهم عاشوا حياة بتولية دون زواج) والفقر طواعيةً، والطهارة. تشاركت عدد من الجماعات الدينية الاعتقادات حول بعض المسائل مثل طبيعة الإله والإيمان بالآخرة وشخص الماشيح والزهد، وقد جمعها الباحثون جميعًا تحت اسم «الإسينيون». ذكر يوسيفوس فلافيوس في كتاباته أن الأسينيين تواجدوا في تجمعات كبيرة. وأن عددهم كان بالآلاف منتشرين في المقاطعة اليهودية الرومانية.

**شعر أبي العتاهية وفنونه الشعرية:**

تدرج شعر أبي العتاهية مع اطوار حياته، مصوراً لها من جميع نواحيها الوجدانية والعقلية والنفسية ، مصوراً لانعكاسات البيئة والحياة من حوله ، ومدى تأثيرهما على نفسه ووجدانه ، وعندما وصل إلى الطور الأخير من حياته وبلغ سن الخمسين ترك قول الشعر في الغزل وكل الأغراض الأخرى ، وتعلق بغرض الزهد. تناول ابوالعتاهية، أول مرة، من فنون الشعر، الغزل والمدح والرثاء والهجاء والعتاب والاستعطاف وما الى ذلك مما ألفه الشعراء من قبله. يحمل شعره الغزلي صورة نفسه نابضا بحرارة قلب متيم. هو غزل الحب المثالي المتألم الذي لايخرج في معانيه عن القديم المعروف. كان مدحه تجاريا وأحسنه ما قيل في المهدي والرشيد اما طريقته تقليدية ومعانية قديمة أفرغها في قالب شخصي جمع السهولة والرشاقة والعذوبة ومدحه لايخلو من غلو في التمليق. إن أسلوبه في الرثاء أسلوب المديح وفي الهجاء له براعة ومقدرة عجيبة على خلق الفكرة الشائكة الجارحة وهو من نوع الشعر اللين السهل. (الفاخوري،1416/1390)

**زهديات أبي العتاهية:**

وأما قسم كبير في ديوان أبي العتاهية – كما سبق ذكره– يشمل على أشعار الزهد. هنا يطرح سوال وهو هل كان أبوالعتاهية زاهدا حقيقيا أم لا؟ هذا موضع شك وريبة. تضاربت حوله الآراء متناقضة بين قائل إنه مصنوع مفتعل وقائل إنه خالص صادق. وفي سيرة أبي العتاهية وشعره ما يؤيد كلا الطرفين على السواء. فقد روي أنه كان يلبس المسح ويحيي بعض الليالي سهرا للصلاة وقد انقطع عن الغزل مذ تزهد ولكنه مع ذلك كان أحيانا لايبالي بشعائر الدين ويتهافت على خطام الدنيا بجشع ونهم. والراي الأرجح الذي يمكن استنتاجه من هذا التناقض أنه قد اجتمع لأبي العتاهية في نفسه في الاحوال التي أحاطت بحياته عوامل متباينة كانت ترغبه تارة في الدنيا وتارة عنها فظل متقلبا بين هاتين نزعتين لايجد سبيلا الى الاستقرار على حال. فظل الرجل متأرجحا بين رغبته في الحياة المثلى وضعفه الذي يجرفه نحو الأباطيل.(المصدر نفسه/422). وهذا التناقض واضح في حياته، ويما كان يجمع المال ولاينفقه في سبيل وكان "أبخل الناس مع يساره وكثرة ما جمع من الأموال"، (الاصفهاني، الأغاني،الجزء الرابع، بدون تاريخ/2) إلا أنه في نفس الوقت كان ينشد أشعارا زهدية في الموضوع نفسه ويلوم المال ويحذر من جمعه، حيث يقول:

تنافس في جمع هذا الحطام وكل يزول وكل يبيد
وكم بادَ جمعٌ أولو قوةٍ وحصنٌ حصين
وليس بباقٍ على الحادثات لشيء من الخلق ركنٌ شديد
وأي منيع يفوت الفنا إذا كان يبلى الصفا والحديدُ

((شكري فيصل، أبوالعتاهية أشعاره وأخباره،107/1965)

**دوافع الزهد عند أبي العتاهية:**

لو ألقينا نظرة خاطفة على حياة أبي العتاهية المتذبذبة لنرى أن هناك أسباب ودوافع دفعته الى اتخاذ الطريقة الزهدية وهذه الدوافع كانت تتراوح بين عوامل دينية ودنيوية نشير الى أهمها:

**العامل الديني:**

- اتصاله بعدد من العباد والزهاد ومدحهم والحضور في حلقاتهم وطبعا لهذه المجالسة والمخالطة أثر في انشاد الشعر الزهدي.
- اتهامه بالزندقة (لأصفهاني، بدون تاريخ، الجزء الرابع/14)

**العامل الدنيوي:**

**الحياة الاجتماعية والسياسية:**

ظهر في المجتمع الإسلامي في العصر العباسي في القرن الثاني الهجري طائفة من النزعات الاجتماعية، منها: الشعوبية واللهو، والزهد. تعد نزعة الزهد رد فعل طبيعي للنزعات السابقة المنحرفة، وما ترتب عليها من اندفاع طائفة كبيرة من الناس ليغمروا أنفسهم في تياراتها الصاخبة، فظهرت طائفة أخرى أنكروا عليهم هذه الحياة المادية المرتبطة بالأرض ارتباطا رخيصا، فمضوا

يقفون في وجه تياراتها، ويقيمون السدود في طريقها، ليقللوا من شدة اندفاعها، وراحوا يصبون فيها ماء باردا ليخففوا من درجة حرارتها التي كانت تجتذب الشباب إليها، كما تجتذب النار الأفاعي، فاتجهوا إلى الزهد والتقشف، وأداروا ظهورهم للحياة ومتعها، ومضوا يدعون الناس إلى عالم روحاني، ويذكرونهم بأن هذه الحياة التي جرفتهم في تياراتها المادية حياة فانية، يقف الموت على بابها بالمرصاد، وأن وراءها حياة باقية خالدة يحاسب فيها المرء على ما قدمت يداه في حياته الدنيا، وراحوا يعزفون لهم على أوتارهم السود ألحان الموت والفناء، لعل تذكيرهم بانطفاء جذوة الحياة من أجسادهم حين تمتد إليها يد الموت الباردة يحدث تأثيره في نفوسهم التي طال انغماسها في هذه وظهور هاتين الطائفتين في هذا المجتمع ليس أمرا غريبا، بل لعّله شيء طبيعي، فإن الناس في عصر الاضطرابات السياسية والانقلابات الاجتماعية يفقدون طمأنينتهم في الحياة واطمئنانهم إليها، ويرون فيها شيئا لا استقرار له ولا ثبات، فإنما هي يوم لك ويوم عليك، فمنهم من يندفع خلفها يعب من كؤوسها ما استطاع قبل أن يدركها النضوب والجفاف، ومنهم من ينفض يديه منها، ويخلفها وراء ظهره، ليستقبل الآخرة الباقية، ويستعد لها بما يقدمه بين يديه من عمل صالح.(خليف،30/1981)

"ولهذا كان طبيعيا أن يكون العراق هو الإقليم الذي شهد ارتفاع هذه الموجة من الزهد ارتفاعا شديدا، لأنه الإقليم الذي شهد أشد صور الاضطراب السياسي والانقلاب الاجتماعي في القرن الثاني الهجري، والواقع أن مجتمع القرن الثاني الهجري لم يكن كله لهوا ومجونا وخلاعة وانحرافا وشذوذا، وإنما كانت فيه جوانب خيّرة كثيرة، فكما كانت حانات بغداد والبصرة والكوفة وبيوت القيان بها تغصّ بالمجّان والخلعاء والُ شّذاذ، الذين التفوا حول جواريها وغلمانها، يعيشون حياة لاهية إلى أقصى درجات اللهو، ويستمتعون بمتعها وملذاتها إلى أبعد درجات الاستمتاع، كانت هذه المدن تغص بالوعاظ والعبّاد والنساك والزهاد الذين رفضوا الدنيا وزينتها، وانصرفوا عن زخرفها، وارتفعوا بنفوسهم إلى آفاق روحانية صافية شّفافة تتدفق فيها ينابيع النور، وتختفي منها حجب الظلام. وفي كل حلقة من حلقات المساجد، وفي كل ركن من أركانها وعّاظ يذكرون الناس بفناء الحياة وخلود الآخرة، وما ينتظر المتقين من ثواب، وما ينتظر وأهم شاعر صوّر هذه الموجة من الزهد الإسلامي التي انتشرت في هذا العصر وعبّر عنها أقوى تعبير هو أبو العتاهية الذي اتخذ من الزهد موضوعا لشعره. (المصدر نفسه/35)

**الضعة والفقر:**

عندما ولد أبو العتاهية وجد نفسه من طبقة الأنباط[1]، وكانوا يعيشون حول الحيرة، وهو نفسه يشير في شعره بأنهم الطبقة الدنيا، حيث يقرر أن الموت أو القبر أو الأخرة هي الدار التي تسوي بين علية القوم وأدانيهم، فيقول:

صرت إلى الدار هي الدار لا التي أقمتَ بها حياً وأنت نشيط
محل بهِ الأقوامُ ويحك تستوي فصيد كرامٌ سادةٌ ونبيطُ

(شكري فيصل، أبوالتاهية أخباره وأشعاره،217/1965)

هذا الاحساس الدفين بضعة أصله وهذا الإحساس النفسي حمله على أن ينادي بأن التقوى هي العز والكرم، كما في قوله:

دَعْني مِنْ ذِكْر أَبٍ وَجَّدٍ وَنسبَ يُعليكَ سورَ المَجْدِ
ما الَفْخرُ إلا في التُّقى والزُّهْد وطاعةٍ تعطي جنانَ الخلْد

(شكري فيصل، أبوالتاهية أخباره وأشعاره102/1965)

وتلك الضعة هي التي جعلته يضطرب في تحديد في القبائل والأنساب العربية، فهو تارة في ولاء مندل وأحيان من أبناء العنزي، وهذا النوع من الاضطراب والحيرة في تحديد ولائه بين العنزيين، ولكن الأكثر دلالة في هذا السياق أنه لما تغيرت به الأحوال ورحل عن الكوفة إلى بغداد جعل ولاءه في اليمانية أخوال المهدي، لأن يزيد بن منصور الحميري قام بحمايته والدفاع عنه عندما حبسه المهدي. وضعته لم تكن قاصرة على نسبه النبطي بل تجاوزت ذلك إلى صناعة أبيه في الحجامة، فقد اشار ابو العتاهية لهذه المهنة في قوله:

1. الأنباط هو مجموعة من العرب القدماء الذين كانوا يقطنون في شمال الجزيرة العربية وجنوب الشام. حيث أعطيت مستوطناتهم التي استمرت من عام 100 إلى 37 قبل الميلاد. الاسم "نباطين" كمنطقة عازلة بين الجزيرة العربية وسوريا وامتداد من الفرات وحتى البحر الأحمر.

ألا إنّما التّقوَى هيَ العِزّ وَالكَرَمْ وحبكَ للدنيَا هو الذلُّ والعدَم
وليسَ على عبدٍ تقيٍّ نقيصةٌ إذا صَحّحَ التّقوَى وَإن حاكَ أوْ حَجَم
(شكري فيصل، أبوالتاهية أخباره وأشعاره،357/1965)

فهو وضيع النسب، حقير المهنة، شريف النفس، يتسلح بالزهد، كما يبتعد بنفسه عن ظلم الناس، ويفخر بالتقى والزهد وطاعة الله سبحانه وتعالى ويجعل ذلك فوق الحسب والنسب.

كما أن سبب ضعته حرفته مع أخوته في صناعة الجرار ، وحملها في أقفاص والمرور بها في الطرقات لبيعها ، وقد ظلت هذه صنعة تطارده حتى عندما أصبح شاعراً مرموقاً في بلاط خلافة المهدي.

**الاستعداد النفسي:**

الزهد نمط سلوكي إنساني، يؤدي إليه التكوين النفسي لبعض الأفراد من جهة، وتساعد عليه الظروف الاجتماعية من جهة أخرى، فالناس بحكم تكوينهم النفسي منهم الانبساطي المتفتح للحياة والمقدم عليها في نهم، ومنهم الانقباضي العازف عن الحياة الزاهد فيها، المنطوي على نفسه.

رزق أبو العتاهية رهافة الحس منذ صغره ، ووجد في نفسه غزارة الطبع التي تمكنه من نظم الشعر، يقول عنه صاحب الأغاني أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا شيخ من مشايخنا، قال حدثني محمد بن موسى قال: " إنه كان ذا لباقة وحفاصة، وكان هو نفسه يعرف موهبته يعرف موهبته ويعتد بها ، فقد سئل عن نفسه، فقال : أنا جرار القوافي ، وأخي جرار التجارة "

ومما يؤخذ عليه عدم ثبوته على مذهب أو نهج معين ، فهو يعتقد شيئاً ما ثم إذا سمع طاعناً يذم هذا الشيء ، فسرعان ما يتحول عنه دون نقاش أو جدل.

لم تكن شخصية أبي العتاهية على شيء من التماسك والانسجام، ورؤيته للعالم غريبة، تكمن في تلمس العذاب ضمن السرور، وإدراك النهاية في صميم البداية، والإحساس بالألم خلال الاستمتاع باللذة والشعور بالموت ببصيص بعينيه الرهيبتين وراء الحياة. وهذه الرؤية الغريبة نجمت عن مزاج خاص، وعن تكوين نفسي وصحي قل نظيره[1].(الخفاجي زينب عبدالكريم،309/2015)

**تحليل زهديات أبي العتاهية ومذهبه الفلسفي:**

ليس لأبي العتاهية في زهده مذهب فلسفي ملتحم الأجزاء بل كان من أبسط أصحاب الأفكار وشعره دليل على ذلك ولا هو يجري في بنيان آرائه على طريقة فلسفية وإن كان قد تقلب أحيانا بين مذاهب متنوعة ونقل أنه ممن لايؤمن بالبعث والتوحيد ويتشيع بمذهب "الزيدية"[2] أو "البترية"[3] وروي أنه كان يذهب مذهب المعنزلة (ديوان أبي العتاهية،8/1986) فإنه لم ينحز انحيازا صريحا الى واحد منها ولم يهتز قط بنزعة فلسفية خالصة ولم تكن زهدياته غير مواعظ أدبية وتأملات شعرية في الحياة والموت. ونقطة انطلاقها في الغالب فكرة مأثورة عن كتب الدين أو عقيدة شائعة بين أصحاب الزهد والتصوف وأحيانا امثالا ساذجة معروفة لدى الجميع. وقد طغت على تلك الزهديات نزعة الاغراق في ازدراء الدنيا لاتستاهل شيئا من العناية والاجتهاد في سبيلها.

إن في نفي ازدراء أبي العتاهية للدنيا مغالاة وتشاؤما مضرين فهو لا يكاد يرى في الحياة في نفوس الأحياء غير ظلام وفناء ومن شأنه أن ينشيء القنوط في نفوس الأحياء فهو يغفل عما للحياة من قدر قيم. لزهديات ابي العتاهية قيمة فنية أدبية قد اهتم لها الشاعر اهتمامه للفكرة والموعظة وإن كان قد تورط في الركاكة والبرودة فذلك نادر. وقد استطاع على وجه الإجمال أن

1. نايف عبدالله، التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري،38/2009 ورشيد الناظم، الأدب العربي في العصر العباسي،93/1989.
2. الزيدية هم طائفة دينية إسلامية، تنسب إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وتواجدوا سابقاً في نجد وشمال أفريقيا وبحر قزوين. الزيدية فرقة من الفرق الإسلامية ظهرت في منتصف القرن الثاني الهجري ويتكون المذهب الزيدي في نشأته من فقه الاعتزال, مع الميل في الفروع للمذهب الحنفي، ويتبنى فكرة الخروج على الحاكم الظالم.
3. البترية أو البتريون هو مصطلح شيعي يشير إلى فرقة من فرق الزيديَّة، وقد يستخدم الشيعة الإثني عشرية هذا المصطلح للإشارة لأي شيعي يخلط بين ولاية الأئمة الإثني عشر، وبين ولاية أبي بكر وعمر(رضي الله عنهما)، للمزيد من التفاصيلراجع: (الأشعري الحسن علي بن اسماعيل، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، الجزء الأول،1990م/144).

يبعد الجمود والجفاف عن شعره أن يخرجه بريئا من غثاثة الشعر التعليمي وجعله بألوان زاهية من الصور الخيالية الغريبة الحلو. وزهدياته موجهة الى العقل اكثر منها الى العاطفة والخيال وهي أقرب الى الخطب المنبرية منها الى الشعر الرفيع. (الفاخوري،1390/ 425).

**أهم الموضوعات التي اشتملت عليها زهديات أبي العتاهية:**

**الموت:**

إن المضامين التي تناولها أبوالعتاهية كثيرة وفي الغالب مشتركة بين مضامين الزهد السائدة ولكن الفرق يكون في التركيز على مضمون دون آخر ولعل أكثر مضمون ركز عليه هو الموت الذي جعله غاية كل شيء وهدف كل ولادة وهذا بطبيعة الحال يخالف حتى مضمون القرآن الذي قصر خلق الانسان والجن لأجل العبادة لا لأجل الموت ولكن الشاعر يريد تعميق معناه [ والتأكيد على أن الدنيا ليست بدار بقاء بل هي دار فناء لأنه يؤمن بالبعث والتوحيد ومقرّ بالجنة والنار وبهذا الإيضاح لايريد مخالفة مضمون القرآن] والحث على ترك الدنيا الخداعة ويذهب في قوله مذهبا بعيدا:

أَلا كُلُّ مَولودٍ فَلِلمَوتِ يولَدُ وَلَستُ أَرى حَياً لِشَيءٍ يُخَلَّدُ
تَجَرَّد مِنَ الدُنيا فَإِنَّكَ إِنَّما سَقَطتَ إِلى الدُنيا وَأَنتَ مُجَرَّدُ
وَأَفضَلُ شَيءٍ نِلتَ مِنها فَإِنَّهُ مَتاعٌ قَليلٌ يَضمَحِلُّ وَيَنفَدُ
وَكَم مِن عَزيزٍ أَذهَبَ الدَهرُ عِزَّهُ فَأَصبَحَ مَرحوماً وَقَد كانَ يُحسَدُ
فَلا تَحمَدِ الدُنيا وَلَكِن فَذُمَّها وَما بالُ شَيءٍ ذَمَّهُ اللَهُ يُحمَد

(شكري فيصل، أبوالتاهية أخباره وأشعاره،109/1965)

اصبر لكل مصيبة وتجلـدِ واعلم بأن المرء غير مخلد
أو ما ترى أن المصائب جمة وترى المنية للعباد بمرصد
من لم يصب ممن ترى بمصيبة؟ هذا سبيل لست فيه بأوحد

(المصدرنفسه/112)

لْمَنايا تَجوسُ كلِّ الْبِلادِ والْمَنايا تُقْني جَميعَ الْعِبادِ
لَتَنالَنَّ مِنْ قُرونٍ أراها مِثْلَ ما نِلْنَ مِنْ ثَمودٍ وعادِ
هُنَّ أَفْنَيْنَ مَنْ مَضى مِنْ نزارٍ هُنَّ أَفْنَيْنَ مَنْ مَضى مِنْ إِيادِ
هَلْ تَذَكَّرْتَ مَنْ خَلا مِنْ بَنى سا سانَ أَرْبابِ فارِسٍ والسَّوادِ

(المصدر نفسه/114)

أراد أبوالعتاهية من خلال اهتمامه بالموت تصغير الدنيا والتقليل من قدرها والاعتبار من زمن فات وملوك مات وقصور بنيت وما بقيت.

**تشوقه الى حياة الزهد الحقيقية:**

رغيف خبز يابس
تاكله في زاويه
وكوز ماء بارد
تشربه من صافيه
وغرفة ضيقة
نفسك فيها خاليه
أو مسجد بمعزل
عن الورى في ناحيه

- سهولة وشعبية في الألفاظ تقرب شعر الى أفهام الناس وتحببه اليهم وتنزل به من سماء الشعر الى دنيا الناس والواقع والحياة:

إني أرى الأسعار أس
عار الرعية غالية
وأرى المكاسب نزرة
وأرى الضرورة فاشية..
وأرى اليتامى والارا
مل في البيوت الخالية..

وحقا أن هذه السهولة والشعبية في زهديات أبي العتاهية ليست ميزة تجعلنا أن نجعلها من مميزات أبي العتاهية الشعرية بل جاءت على السببين وأولهما أنها من ميزات شعر الزهد كله فالشاعر لم يأت بشيء جديد ونستطيع أن نقول أنه كان موفقا في مراعاة هذه الميزة والثاني أن جرت هذه القاعدة في عموم شعره وقال صاحب الأغاني: "أطبع الناس بشار والسيد وأبوالعتاهية وكان أبوالعتاهية غزير البحر لطيف المعاني كثير الامتنان قليل التكلف.. وأكثر شعره في الزهد والأمثال". (الأصفهاني أبوالفرج، الجزء الرابع/6) والأصمعي كان يقول عنه: "شعر أبي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى". (المصدر نفسه/ 16)

**التحذير وتذكير الموت:**

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى تباب
لمن نبني ونحن الى تراب نصير كما خلقنا من تراب
(شكري فيصل، أبوالتاهية أخباره وأشعاره،33/1965)

وروي عن النبي الأكرم (ص): أكثروا ذكر هادم اللذات أي الموت. (الترمذي محمد بن عيسي، الجامع الكبير،1996، المجلد الرابع، رقم الحديث: 2307، ص 1996/141)

أبوالعتاهية يعتقد أن تذكر الموت يمحو لذة العيش فيبكى بذكر الموت على هذا المصير الأسود الذي ينتظره:

وحق لموقن بالمــوت أن لايسوغه الطعام ولا الشربا
(شكري فيصل، أبوالعتاهية أشعاره وأخباره،20/1965)

ونغَّصَ الموتُ كلَّ لذة عيش يا لقومي للموت ما أوحاهُ
(المصدر نفسه/431)

**التأثر من المصادر الاسلامية:**

لدوا للموت وابنوا للخراب..

فلو ننظر في نهج البلاغة لنجد ما يعادل هذه المفاهيم لفظا ومعنا:

" إن لله ملكا ينادي كل يوم لدوا للموت واجمعوا للفناء وابنوا للخراب". (نهج البلاغة،486،1383/ الحكمة 132)

ألا يا موت لم أر منك بدا أتيت وماتحيف وما تحابي..
..فما تزال سهام الموت قاصدة لكل مدرع منا ومترس..
(شكري فيصل، أبوالعتاهية أشعاره وأخباره،194/1965)

وجاء في القرآن الكريم: " أينما تكونوا يدرككم الموت ولوكنتم في بروج مشيدة"، (النساء /78) و"نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون"، (الواقعة/63) و"كل نفس ذائقة الموت"، (آل عمران/158) و"قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ ملاقيكم ثم تُرَدُّونَ الى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ"، (الجمعة/62).

. الإيمان بالبعث والتوحيد والإقرار بالجنة والنار وهذا رد على الذين اتهموه بالزندقة:

أذكر معادك أفضل الذكر لاتنس يوم صبيحة الحشر
يوم الكرامة للاولى صبروا وللخير عند عواقب الصبر..
(شكري فيصل، أبوالعتاهية أشعاره وأخباره،147/1965)

**زوال الدنيا والتحذير منها:**

يعتقد أبو العتاهية ان الدنيا لا تبقى وهي دار الفناء وحلاوتها ممزوجة بمرارة:

لعمرك ما الدنيا بدار بقاء كفاك بدار الموت دار فناء
فلاتعشق الدنيا أخَي فإنما يُرى عاشق الدنيا يجهد بلاء
حلاوتها ممزجة بمرارة وراحتها ممزوجة بعناء
(شكري فيصل، أبوالعتاهية أشعاره وأخباره،2/1965-3)

**الإيمان بالقضاء والقدر:**

لعمر أبي لو أنني اتفكر رضيت بما يُقضى على ويُقدَر
توكل على الرحمن في كل حاجة أردت، فإن الله يَقضي ويَقدِر
(شكري فيصل، أبوالعتاهية أشعاره وأخباره،154/1965)

**ذم الدنيا واحتقاره:**

وصف أبوالعتاهية الدنيا بظلم وعدوان وبغي وغدر واضطراب جرّاء ما لاقى منها ومن أبناء الدهر. وربما وردت الدنيا كثيرا في العناوين وقد يرد لفظ بمعناها أو قريبا منها وترد غالبا مصحوبا بأفعال يراد منها ترك الدنيا أو جمل اسمية تحمل المضمون نفسه منها: المرء آفته هوى الدنيا (ديوان،1986/ 22) و(إن الفناء من البقاء قريب (المصدر نفسه/40) وطلبتك يا دنيا فأغدرت في الطلب(المصدر نفسه/49) ونريد بقاء والخطوب تكيد (المصدر نفسه/ 143) و..

فنون رداك يا دنيا لعمري فوق ما أصف فانت الدار فيك الظلم والعدوان والسّرَف
وانت الدار فيك البغي والبغضاء والشنف وأنت الدار فيك الهمّ والأحزان والأسف
(شكري فيصل، أبوالعتاهية أشعاره وأخباره،242/1965)

**الاتعاض بالاقوام السابقة:**

يا ساكن الدنيا أمنت زوالها ولقد ترى الأيام دائرة الحي
لكم أباد الدهر من متحصن في رأس أرعن شاهق صعب الذرى
أين الأولى بنوا الحصون وجندوا فيها الجنوده تعززا أين الأولى

**كثرة الأمثال واختلاط الزهد بالحكم:**

حسبك ما تتبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت
الله حسبي في جميع أمري به غنائي واليه فقري
إن كان لايغنيك ما يكفيكا فكل ما في الأرض لايغنيكا
ما انتفع المرء بمثل عقله وخير ذخر المرء حسن فعله

إن الفساد ضده الصلاح ورب جدٍّ جرَّ المزاح
(شكري فيصل، أبوالعتاهية أشعاره وأخباره،446/1965)

نرى في هذه الألفاظ سهولة الألفاظ وكثرة الحكم مما جعله شبه الأمثال مما يجري على ألسنة الناس عادة في الأقوال.

الإقرار بالذنوب والرجاء الى عفو الله سبحانه تعالى:

الهي لاتعذبني فإني مقرٌّ بالذي قد كان مني
فما لي حيلة الا رجائي لعفوك، إن عفوت وحسن ظني..

حتى متى أنت في لهو ولعب والموت نحوك يهوي فاغرا فاه
يا سكرة الموت قد نصب لهذا الخلق في كل مسلك شركا

**في كبح هوى النفس:**

يريد ابوالعتاهية من الانسان عدم اطاعة النفس الخضوع لها لأنها أمارة بالسوء ويجب مخالفتها:

خالف هواك إذا دعاك لريبة فلرب خير في مخالفة الهوى
يا ذا الهوى، مه، لا تكن ممن تعبَّدَه هـواه

**في قيمة القناعة وذل الطلب والسؤال:**

وذقت مرارة الأشياء طرا فما طعمٌ أمرُّ من السؤال
ارض بالعيش علد كل حال تتّسع فيه وإن كان ضنكا

ذكر أهل القبور، رغبة عن الآمال، قدر اهل الورع والتقوى، ذم البخل والغفلة، التحذير من الكبر والنخوة، الاغراء الى الوحدة والعزلة، موج الصبر أمام صعاب الشهوات، العفاف والطهر، عزة النفس ومناعة الطبع، معرفة النفس، معرفة سبحان الله والاستغفار عن الذنوب، تعظيم العقل والعلم والدين والعقيدة هي من الموضوعات والمضامين الأخرى في زهديات أبي العتاهية.(زيني وند واشكوري،11/1390)

**شرف الدين الأنصاري وحياته**

في دمشق الفيحاء وفي درب الكشك[1]، أحد أحيائها القديمة، ولد الشاعر الكبير، شيخ شوخ الحماة، ورئيسها الصاحب شرف الدين، أبو محمد عبدالعزيز بن محمد بن عبدالمحسن بن محمد بن منصور بن خلف المعروف بـ "ابن الرفاء"، في الثاني والعشرين من جمادي الأولى سنة 586 هـ. وهو عربي صميم من قبيلة الأوس الانصارية وكانت تسكن كفرطاب مه سكانها من بهراء وتنوخ وقد تكررت الإشارة الى نسبه هذا في شعره كما في قوله ذاكرا الأوس:

وَإذا ما الأَوْسُ عُدُّوا فإنِّي مِنْ ذَوْيهِمْ في لُبابِ اللُّبابِ

وأشار الى الأنصار قائلا:

ان كنت لم أفتقد غمضي لفقدكم فلا وجدت من الأنصار أنصاري

أما أبوه فهو القاضي أبوعبدالله زين الدين محمد بن عبدالمحسن وكان الشاعر برا له ومعجبا به فقد عرف أنه ألف كتابا أسماه : تذكار الواجد بأخبار الوالد" ذكر فيه أخباره وحياته.

1. يقع درب الكشك في حارة اليهود الحالية بين محلتي باب شرقي والشاغور جنوب الدرب المستقيم الممتد من باب الجابية الى باب شرقي.

في مملكة حماة الأيوبية وفي بيئتها العلمية التي ازدهرت في عهد ملوكها من أحفاد الملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين، وفي عصرها الذهبي خلال حكم أكبر ملوكها المنصور الأول، الأديب العالم الذي سمع الحديث في الاسكندرية عن الحافظ السلفي وصاحب التآليف المشهورة، نشأ شرف الدين فاستكمل علومه الدينية والأدبية بإشراف والده وقرأ القرآن الكريم بروایاته المختلفه واشتغل بالأدب على أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي وسمع منه كثيرا، حتى اذا نال قسطه من العلوم والمعرفة، شرع يرتحل مستزيدا من ثقافته وعلم. (الأنصاري، بدون تاريخ/14)

**الحياة الاجتماعية والسياسية في عصر شرف الدين:**

في سنة 648 هـ والقرن السابع الهجري يقترب من نصفه الثاني انتهت في مصر دولة الأيوبيين وقامت دولة المماليك التي بدأت بجارية للسطان الأيوبي الملك الصالح نجم الدين هي شجرة الدر التي صارت زوجة للسطان الأيوبي الراحل، ثم تولت السلطنة بعد موته، وتزوجت بأحد أمراء المماليك وهو عز الدين أيبك.

وكان انتهاء دولة الأيوبيين نتيجة حتمية لعدة عوامل تضافرت عليها، منها تكالب الأعداء من الخارج في صورة صليبيين وأهوانهم من دول أروبا وعناصر داخلية أسرعت في القضاء عليها، منها تورط الأيوبيين أنفسهم في نزاع مرير فيما بينهم ومنها استكثارهم من اقتناء المماليك للاعتماد عليهم في نصرتهم. وقد أسرف في ذلك آخر سلاطينهم ال صالح نجم الدين. ومنها إهمالهم لشئون الرعية وسوء معاملة مماليكهم للناس وتدهور الأحوال الاقتصادية بزيادة نفقات الحروب والأعمال العسكرية ورواتب العسكر.

مما ادى الى تدهور مالي واجتماعي [وثقافي] وأدى هذا بدوره أو ساعد على تفشي النكبات والجوائح كالطواعين والأوبئة التي حصدت من النفوس العدد الوفير وأنهكت ما تنبي من الناس والمجاعات المتتابعة والزلازل وثورات العربان والخارجين في مصر وغيرها من البلدان الشامية والفراتية. (سلام محمد زغلول، الأدب في العصر المملوكي/13)

إن اضطراب الحياة السياسيّة وشعور الناس بخيبة الأمل وفقدان الحريّة الشخصية وسوء الأحوال الاقتصاديّة والاجتماعيّة والتردي الأخلاقي وكثرة أماكن المجون مما جعل البعض من الشعراء والأدباء أن يختاروا الزهديات للتعويض عن هذه الظروف السيئة ومن هولاء الصاحب شرف الدين الأنصاري حيث دعا الى مكارم الأخلاق وحذر من المشي وراء الموبقات وأنشد أشعار زهدية وحكمية.

**شعر شرف الدين ومذهبه الفني:**

استخدم الشاعر في طرائق تعبيره كثيرا من الأساليب البلاغية المستجدة في هذا العصر، بيد أنه تفرد دون غيره بسلوك مذهب بلاغي معين في تصنعه البديعي، فأبدع فيه كل الإبداع، وقد أعجب الأدباء المعاصرون بهذا الاتجاه الجديد الذي يسير جنبا الى جنب مع الاتجاه الذي بدت تباشيره قبيل ذلك في مصر على يدر القاضي الفاضل وجماعته من بعده، فنجوا منهجه واقتدوا به وتداولوا معانيه ولانبالغ إن قلنا إن معظم شعراء النصف الثاني من القرن السابع الهجري كانوا من تلامذته فاستمدوا منه كثيرا من معانيم الشعرية.

نوه الصفدي بعبقرية الشرف الأنصاري وأعجب بمذهبه الشعري وأشار الى أهميته كأكبر شاعر عرفته بلاد شام كما أجمع على ذلك معاصروه ومما قاله: "لا أعرف في شعراء الشام بعد خمسمائة وقبلها من نظم أحسن من شرف الدين ولا أجزل ولا أفصح ولا أصنع ولا أسرى ولا أكثر وما رأيت له شيئا إلا وعُلِقتُه ولما فيه من النكت والتورية والتورية الفائقة والقوافي المتمكنة والتركيب العذب واللفظ الفصيح والمعنى البليغ. (المصدر نفسه/36)

ويُعدُّ شرف الدِّين الأنصاري من الشعراء البارزين في القرن السابع الهجري وهو شاعرٌ مطبوعٌ مكثر، وقد أسقط من ديوانه أشعارًا كثيرةً لم يكن راضيًا عنها، وقد كانت له صنعة حسنة في شعره وبخاصَّة في فنِّ البديع، وهو مغرم بالتوريات والجناسات خاصةً، وله ميل إلى البحور المجزؤة في كثير من نظمه. (باشا، 1409/384-385)

وقد نظم شرف الدين الأنصاري قصائده في مختلف الأغراض الشِّعرية التي اهتم بها معاصروه، وقد أشار قطب الدين اليونيني إلى غزارة شعره بقوله: "وللشيخ شرف الدين الأنصاري أشعارٌ كثيرةٌ لا يجمعها ديوان، وكان من حَسَنَات الدَّهر ومحاسنه". (اليونيني،138/1)

**زهديات شرف الدين:**

وفي ديوان شرف الدِّين الأنصاري مقطوعات وأراجيز وقصائد قالها في الزُّهد، وهو الغرض الحقيقي الذي ينسجم مع لقبه الذي عُرف به وهو "شيخ شيوخ حماة". (ابن خلكان،365/1) ولكنه لم يكن الأصل في شعره، حيث نظم في موضوعات متعدِّدة أبرزها المديح.

وقد قصد الشَّاعر من خلال قصائد الزُّهد التَّعبير عن نظرته إلى الحياة، والتأمُّل في أحوالها وتقلُّباتها، وكيف أنَّها أغرت العقول بزخارفها وبهارجها، فجاءت النفوس تلهث وراءها، وتنجرف وراء ملذَّاتها ومتعها، تاركةً ما ينبغي أن تنشغل به في هذه الحياة، وما يحقق لها السَّعادة والنَّعيم.

وقد صنف الأنصاري عدَّة مصنَّفات منها: نظرة المعشوق إلى وجه المشوق، وتذكار الواجد بأخبار الوالد، وهو منظومة تحدَّث فيها عن والده وشيوخ والده الذين تلقَّى العلم عنهم.(عمر فروخ 600/3–601)

النشأة الثقافية وكثرة الشرور والفتن والانحلال الخلقي في [العصر المملوكي] كان من دوافع انشاد المضامين الزهدية والهروب من ذلك الواقع المرير في عصر الانحطاط ومحاولة إصلاح الأمور عند شرف الدين.

**تحليل زهديات شرف الدين:**

لا شك [ومن الأفضل أن نقول من المرجح] أن المضامين الزهدية عند شرف الدين لايمكن حملها على المعاني غير الحقيقة في الزهد وأنه ولو وصف جارية أو مغنية حينا بعد حين إلا أن كثرة الأشعار التي أنشدها في الزهد يؤيد رأينا ولايمكن أن تكون لشرف الدين مرحلتان من الحياة الشعرية، أي أنه كان في ردحة من الدهر عاشقا مجازيا وثم عاش زاهدا حقيقيالإ خاصة أن هناك تزامن في إنشاد المدائح والغزل والشعر الزهدي. هذا من جهة ومن جهة أخرى إن شخصيته المذهبية والثقافية والعلمية كانت تتطلب منه أن يهتم الى القضايا الدينية متلبسا بلباس الفقه والدين وهو يقول في هذا الصدد:

أأطلب المال والبنينا من بعد احدى وأربعينا
ما أبعد الفوز بالأماني على فتى قارب المنونا
واعجبا كيف لم يعظنا ما بان عنا من السنينا
وكيف نعصي وقد علمنا إنا الى الله راجعونا

(الأنصاري، ديوان،501 ومقدسي،1380/10)

إن موضوعات شعر الزهد في ديوان شرف الدين تدور حول المضامين الشائعة في أشعار الزهد من التزهيد في الدنيا والقناعة وذكر الموت والآخرة والحث على العمل الصالح والطاعة والنصح والإرشاد والملازمة على الخير وعدم ارتكاب الذنوب والتأمل في الحياة والتوبة وعدم الانجرار وراء الدنيا والصحو من الغفلة ونفي المطامع والالتزام بالتقوى والتحذير من اليأس والى غير ذلك من المضامين الزهدية الأخرى. (المصدر نفسه)

لشدة ضيق الشاعر بحياة المنغصة المنكرة نراه يزهد في الناس كيفما كانوا، ويتجه عوضا عنهم الى العزلة، التي ينجم عنها الكبرياء والعزة، لأن الناس يستغى فيها عن مخالطة الناس واحتياجاتهم، وحيث الذل والمهانة. وهو يحض على التوحد والترفع عن الابتذال الذي لا يكون إلا بمعاشرة الناس والتعامل معهم:

أفق من سِنة الغفلة وصن نفسك يا أبله
وصن وجهك بالوحد ة والقنع عن البِذلة
فإن الذل في الخلطة والعزة في العزلة

لقد تمادى الصاحب في زهده ونفوره واعتزالة حتى وصل به المطاف الى اللفظ.. فالكلام اليذي يبالغ في تزويقه وتحسينه من أجل المعاني الجليلة/ مسعى باطل، وحيلة لاتنطلي على ذوي الألباب، فلنترك جانبا، وليكن التحسين منصبا على جليل القصد وعظيم المعنى وذلك لا يتأتى إلا إذا واكبه الرحمن، جلت قدرته وباركه:

فلا يغرنك التزويق، مجتلبا غرَّ المعاني الى ألفاظك الجزلة
فليس يحظى من انقاد الكلامُ له إلا إذا كان منقادا لأمر الله

الصاحب شرف الدين اعتنق الزهد في هذه الدنيا لا لشيء إلا لأنها مقصوصة الطرفين/ الليل والنهار، يتعاقبان فيتعاقب الذاب والفرح. ولذا فهو يدعو الى إهمالها والتخلي عنها ما دامت زائلة لا يدوم فيها شيء وليكن الأمل والاهتمام والسعي الى الآخرة حيث الخلود والبقاء:

واسلَ عن دنيا بِقصِّيها صباح ومساء وابغِ أخرى، دائم فيها نعيم وشقاء
كل ما في هذه الدنيا قصاره الفناء ولَأهل الخلد في الخلد، ولله البقاء
(الأيوبي،1995/353- 356)

فيما يلي طبقنا بعض هذه الموضوعات في شعره:

**الدعوة الى القناعة:**

الشاعر يدعو الى القناعة فيما يحصله المرء، فهي وحدها دعامة القوة والحصانة وسبيل الغنى الحقيقي:

ملك القناعة عز يذهب الذلة فمن حوك كنزة لم يؤت من قلة
قالوا نراك اعتزلت الناس، قلتُ لهم: كُفُّوا فإني رأيت العزة في العزلة

[قارنوا هذه النظرة بنظرة أبي العتاهية ولترى مدي البون في رؤيتهما الى القناعة حيث إن دعوة أبي العتاهية الى القناعة كان منشأه البخل إلا أن سبب الاهتمام بها عند شرف الدين هو دعامة القوة والحصانة ولأنها سبيل الغنى الحقيقي].

الدعوة الى عدم الانغماس في مال الدنيا والملذات والشهوات الدنيوية:

ودع الأطايب للئام فأكلة منها بغصة
واذا شَرِهتَ لفاخر الأكْ وان، صُم، تُقنِعك قُرصَة [1]
(المصدر نفسه/355)

وذلك تأكيدا لقول الحق تبارك وتعالى: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ والحرث ذلك مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدنيا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ. (آل عمران/14)

**التَّزهيد في الدنيا:**

في مقدِّمة المعاني التي تناولها شرف الدِّين الأنصاري في شعره هو التَّزهيد في الدُّنيا، والتَّحذير من تقلُّبها وتحوُّلها، والتَّنبيه إلى أنَّها دار ممر وليست بدار مقر، لذا وجب عدم الاغترار بها، والانشغال بها عن العمل الصَّالح، الذي ينفع المرء في دار القرار، حيث يقول في هذا المعنى:

هِيَ الدُّنيا تُحِبُّ ولا تُحابي وتَصْحَبُ ثُمَّ تَغْدُرُ بالصِّحابِ
دَهْتنِيَ في شَبابٍ خَوَّلَتْهُ ولَمْ يُفْجَعْ بِمنْعٍ مثلُ حابِ
فَلا تَعْجَبْ مَنَ الأَضدادِ وانظُرْ إلى ضَحِكِ المَشيبِ مَعَ انتِحابي

1. القطعة الصغيرة من العجين.

ولاتثقن بها وأقل بنيها جرائم ضيقت سعة الرحاب
وعاشرْهُمْ بأَخلاقٍ كـرامٍ طواهرَ مثلِ أَمـواهِ السِّحابِ
(ديوان شرف الدين الأنصاري /82-83)

**الحث على الطاعة:**

ومن المعاني التي تناولها شرف الدين الأنصاري في شعر الزهد الترغيب في الأعمال الصالحة ومجانبة المعاصي والذنوب والتركيز على ما ينفع المرء في دنياه وأخراه. حيث يعبر في إحدى قصائده عن أثر القناعة في نفسه وأنها تعد أنفع ما يملك، فقد جاوز السبعين من العمر وليس أمامه سوى طريق العمل الصالح والذي ينصح الآخرين بانتهاج سبيله والفوز بنعيمه..

يقول في قصيدته:

غنيتُ بما اكتزت من القناعة الى أن قيل قد عرف الصِّناعة
ولم أعرض بوجهي عن نصيحي ولم أقبل من المُطري خداعة
وقلت لمادحي: بعدا وسحقا وقلت لناصحي: سمعا وطاعة
ومن أربى على سبعين عاما بأربعة فقد أخلى رباعة
(المصدر نفسه/531)

المحافظة على الوقت وانتهاز الرفص لعمل ما ينفع والتأمل فيما مضى من أيام الشباب:

تأمل شوائب عصر الشباب وخف من عواقبها ما أمنتا
يخالف قولك من الفعالُ ويكثر ذا عند ذي العرش مقتا
أتغفل والذرُّ يُحصى عليك فليتك في الدار لا كنت كنتا
جعلت البطالة شغلا لديك تقضّي بها الدهر وقتا فوقتا
(المصدر نفسه/315-314)

**الدعوة الى الندم والأسف على ما سلف من الذنوب والمعاصي وتذكر الآخرة وأهوالها والتوجه الى الطاعات والأعمال الصالحة:**

أين القلوب الرواجف أين الدموع الذوارف
على ارتكاب ذنوبٍ لم يحُصها وصف واصف
وقطعُ أيام عمر مثلِ البروق الخواطف
وخوف أهوال حشر تفوت كل المخاوف

**ذكر الموت والآخرة**

كان التذكير بالموت والآخرة من الجوانب التي عرض لها شرف الدين في أشعاره. فالموت هو النهاية المحتومة الحقيقية التي يقف عندها كل انسان في الحياة وهو البداية الأولى في طريق الآخرة وليس لأحد منه ملجأ أو منجا. قال الله تعالى" ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون- الاعراف/34". يقول شرف الدين الأنصاري:

تذكر الموتَ وأهوالَه ينسَ به قلبُك آمالَه
وخذ كفافَ القوت واقنَع به واترك لذي العزة أموالَه

**التحذير من إطاعة الهوى:**

آفة العقل طاعة الهوى فاعصها ما استطعت شمّ الهواء
عجبي لإمريء يرى الأرض مثوا هـ وأقصى مناه كسب الثراء
أين كسرى وقيصر من ملوك الأرض والمنذر بنُ ماء السماء

**النصح والإرشاد:**

النصح والتوجيه والارشاد الى طريق الخبر والفلاح وسلوك نهج الصحيح من الموضوعات التي شغل شرف الدين الأنصاري:

فتنصَّل من خطيئا تٍ لها النارُ جزاء
واسلُ عن دنياه يقَصِّ ها صباحٌ ومساء
وابغُ أخري دائم فيـ ها نعيم وشقاء
سابقِ الفوتَ الى الفو زِ فقد جاوز جدَ الجزاء
(المباركي، العدد 487/136)

هذه أهم الموضوعات التي تطرق اليها شرف الدين الأنصاري من خلال الشعر الزهدي. ألفاظ شرف الدين كأبي العتاهية جاءت مألوفة قريبة الى النفس التي تفصح عن مدلولها بسهولة وهذا من شأن الشعر الزهدي لأنه موجه الي عامة الناس أكثر من أن يكون محلا للمنافسة الشعرية بهدف التفوق علي الأشعار الأخرى:

أين القلوب الرواجف أين الدموع الذوارف
على ارتكاب ذنوبٍ لم يحُصها وصف واصف..

إن الألفاظ قد اختارت متناسبة مع المعاني. هذه الألفاظ كلها تدل على الحزن والألم الذين أراد الشاعر التعبير عنهما على ما سلف من الذنوب والآثام.

الفترة التي يعيشها الشاعر هي فترة استخدام المحسنات البديعية واللفظية من جناس وتورية وايهام وطباق ومقابلة و.. هذه الصناعات نشاهدها بوضوح في أشعار الأنصاري:

هي الدنيا تحب ولاتحابي وتصحب ثم تغدر بالصحاب

فقد طابق بين (تصحب وتغدر) وجانس بين (تحب وتحابي) وبين (تصحب والصحاب).

ويستخدم الشاعر المقابلة في أبيات أخرى تعبر عن تقبله للقول الحق البعيد عن الاطراء الزائف، فيقول:

ولم أعرض بوجهي عن نصيحي ولم أقبل من المُطري خداعة
وقلت لمادحي: بعدا وسحقا وقلت لناصحي: سمعا وطاعة

حيث قابل في البيت الاول بين أعرض وأقبل) و(نصيحي وخداعة) وقابل في البيت الثاني بين (بعدا وسمعا) و(سحقا وطاعة)

وكما يظهر فقد اعتمدت قصائد شرف الدين الأنصاري الزهدية كثيرا على المحسنات البديعية والمعنوية. حيث كانت تلك المحسنات أحد المقاييس الفنية لأدب القرن السابع الهجري. (المصدر نفسه).

يتضح بما سبق أن آكثر موضوعات الزهد عند شرف الدين يدور حول الدنيا التي تؤلف نقطة الارتكاز في موضوعة الزهد فهي مستودع الشهوات والملذات ومسرح الصراع على الجاه والنفوذ.

**النتيجة:**

من خلال ما مر بنا من تحليل ودراسة زهديات أبي العتاهية وشرف الدين الأنصاري نقول:

-إن أبا العتاهية عاش في زهدياته المرحلتين: مرحلة العبث ومرحلة الزهد ولكن يبدو أن هذا الحكم لا يصدق على شرف الدين.

-إن كلا الشاعرين نهلا من ينابيع القرآن الكريم والمصادر الاسلامية الأخرى وهذا علاوة الى أنه من ميزات الشعر الزهدي إلا أنه كان أسلوبا شائعا في فترة عاش فيها شرف الدين الأنصاري.

-ما يثقل كفته من موضوعات زهدية عند الشاعرين هو الموت والدنيا والتذكيربهما واحتقارهما اياها.

-إن مواطن الزهد عند أبي العتاهية أكثر من مواطن استخدمها شرف الدين الأنصاري في شعره وهذا شيء طبيعي بسبب كثرة الزهديات في ديوانه وبما أنه أستاذ هذا الفن ولأن زهد أبي العتاهية هو المذهب الشعري الرئيسي عنده ولكن زهد شرف الدين جاء مبثوثا في ديوانه.

-كانت دوافع الزهد عند أبي العتاهية دنيوية أكثر من كونها دينية وثقافية والزهد عند شرف الدين أكثر صفاء بالنسبة لأبي العتاهية نظرا لثقافته وأسرته ومهامه السياسي والاجتماعي.

-سهولة اللغة وبساطة العبارات من ميزات مشتركة في زهديات الشاعرين وهذا في أبي العتاهية على فطرته وفي شرف الدين الأنصاري اضافة الى كونها فطرية لأنها كانت من ميزات خصائص عصره.

-استخدام المحسنات اللفظية والمعنوية وظاهرة الاقتباس والتضمين في زهديات شرف الدين كان أكثر بالنسبة لأبي العتاهية وترى هذه الميزة من طبيعة الشعر الزهدي إلا أنها كثرت في شعر شرف الدين لأنها أصبحت سليقة في عصره يستخدمونها الشعراء.

-زهديات أبي العتاهية شابها شيء من التشاؤم والقنوط والشك والخوف من الفقر وكانت بمثابة تعويض عن روحه وشخصيته المزدوجة.. وهذا جعلها أكثر عرضة للنقد والحق أن زهديات شرف الدين كانت اصلاحية أنشدت لغرض اصلاح المجتمع المتردي.

-رغم تكلف وتصنع والمبالغة في تورية نجدها في شعر شرف الدين في اطاره العام إلا أن الألفاظ في شعره الزهدي جاءت بعيدة عن الغموض والتصنع.

-لجوء أبي العتاهية الى الزهديات كان للهروب من حاله الخلقية العبثية والتعته أكثر من أن يكون له باعث ديني ولكن ميول شرف الدين الزهدية كانت للهروب من ذلك الواقع المرير في المجتمع العثماني محاولة لإصلاح الأمة أكثر من أن يكون له دافع خلقي وشخصي.

-إن شرف الدين الأنصاري في زهده أكثر صداقة بالنسبة الى أبي العتاهية حسب أحوالهما الشعرية والخلقية حيث كان أبو العتاهية مترددا بين الزهد والحياة العبثية ولا نشاهد هذا الشك والتردد والاضطراب في أحوال شرف الدين.

-حسب ما عرّفناه في انواع الزهد من خلال البحث لايمكن القول بأن كلا الشاعرين يعدان من الزهاد بكل ما فيه من معنى للكلمة.

-الاتجاه الفلسفي والديني المتذبذب عند أبي العتاهية أثر في زهدياته سلبيا حيث نشاهد أن هذا الاضطراب أدى الى تناقض بين قوله وسلوكه في شعره الزهدي عند بعض المضامين، ومن هذه المضامين "الدعوة الى عدم البخل" مثلا، والحال أنه نفسه كان بخيلا ولكن كان يلوم البخل].

**المصادر:**

**المصادر العربية:**


1- القرآن الكريم

2- ابن المبارك المروزي عبدالله، الزهد والرقائق، تحقيق أحمد فريد، المجلد الأول، دار المعراج الدولية للنشر، الطبعى الأولى، 1415 هـ - 1995م.

3- ابن ماجه أبوعبدالله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد الباقي، الجزء الأول، مطبعة دار احياء الكتب الأربعة.

4- أبوالعتاهية اسماعيل بن قاسم، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، دمشق، جامعة دمشق، دارالملاح للطباعة والنشر، 1964 م

5- أبوالعتاهية، ديوان، دار بيروت، 1406-1986 مـ

6- أبوالعتاهية، ديوان، شرح مجيد طراد، الطبعة الثانية، بيروت، دارالكتب العربي. بدون تاريخ.

7- الأصفهاني أبوالفرج، الأغاني، الجزء الرابع، بدون تاريخ.

8- أفندي محمد ثابت وآخرون، داءرة المعارف الاسلامية، المجلد 10، دارالعلم للملايين، ط1، 1983م

9- الأنصاري شرف الدين، ديوان، تحقيق الدكتور موسي باشا، مجمع اللغة العربية بدمشق، بدون تاريخ.

10- الأيوبي ياسين، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، جروس برس،1995مـ،1415هـ. لبنان.

11- الأشعري الحسن علي بن اسماعيل، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، الجزء الأول،المكتبة العصرية، بيروت، 1990مـ،1411هـ

12- باشا عمر موسي، تاريخ الأدب العربي، العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الاولى، 1409 هـ

13- باشا عمر موسي، محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني، مطبعة الاحسان، دمشق، 1400هـ

14- البستاني فؤاد افرام، المجاني الحديثة، المجلد الثالث، الطبعة الأولى،1419 هـ- 1988، المطبعة كيميا، دارالفقه للطباعة والنشر.

15- البيهقي أبوبكر أحمد بن الحسين،الزهد الكبير، دارالجنان، بيروت، 1408هـ 1987مـ.

16- بيهقي احمد بن حسين، الزهد الكبير، دارالقلم، ط 3، الكويت، 1983 م

17- الترمذي محمد بن عيسي،الجامع الكبير،1996،المجلدالرابع،رقم الحديث،1996.

18- الجرجاني علي بن محمد السيد شريف، التعريفات، تحقيق محمد صادق منشاوي، بدون تاريخ، القاهرة.

19- خليف، يوسف: تاريخ الشعر في العصر العباسي، دار الثقافة بالقاهرة للطباعة والنشر،1981مـ.

20- رشيد ناظم، الأدب العربي في العصر العباسي،دارالكتب، جامعة الموصل،1989

21- الزيات أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، مطبع وليعصر، انتشارات تاقكه، سنندج، 1383

22- سلام محمد زغلول، الأدب في العصر المملوكي، دار المعارف، مصر

23- شكري فيصل، أبوالعتاهية أشعاره وأخباره،دارالفلاح للطباعة والشعر، مطبعة دمشق،1384هـ،1965مـ

24- ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي( العصر العثماني)، الطبعة: الثاني، الناشر ذوي القربى، تاريخ الطبع، 1427

25- الفاخوري حنا، تاريخ الأدب العربي، چاپ ششم، انتشارات توس، 1390، تهران.

26- القرشي البغدادي محمد بن أبي الدنيا،كتاب الزهد، الطبعة الأولى، دار ابن كثير،1420هـ-1999مـ.

27- المباركى محمد بن هادي، شعر الزهد عند شرف الدين الأنصاري، مجلة الجامعة الاسلامية، العدد 136

28- المسلمي أبوعبدالرحمن، طبقات الصوفية.بدون تاريخ.

29- محمود لطفي نايف عبدالله، التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري(دراسة موازنة)،اطروحة للحصول على الماجستير،2009،فلسطين.
30- نوفل محمد محمود قاسم، المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 1987م
31- نهج البلاغة، الطبعة الثالثة، ناشر: فرائض، مطبعة الهادى،1383
32- الهجويري، كشف المحجوب، دراسة وتحقيق وتعليق عبدالهادي قنديل، مكتبة الاسكندرية، جمادي الأولى،1394هـ-7974مـ.

**المصادر الفارسية:**

1- امين مقدسي ابوالحسن، درامدى بر شعر شرف الدين الانصارى (علمي – پژوهشى)، مجله دانشكده ادبيات وعلوم انسانى دانشگاه تهران، زمستان 1380.
2- زيني وند تورج واشكوري سيد عدنان، مقارنة بين زهديات أبي العتاهية وناصر خسرو في شعر الزهد، فصلنامه نقد وادبيات تطبيقي، سال اول، شماره 1، خرداد 1390.
3- شفيعى كدكنى محمد رضا، درآمدى به سبک شناسى نگاه عرفانى (زبان شعر در نثر صوفيانه)، چاپ چهارم، انتشارات سخن، تهران، 1392.